السنة الأولى

وزارة التّعليـم العالـي والبحـث العلمـيّ

المركـز الجامعـيّ عبد الحفيظ بوالصـوف، ميلة.

معهد الآداب واللّغات — قسم اللّغة والأدب العربيّ

محاضرات في البلاغة

التَّخَصُّص: دِرَاسَاتٌ لُغَوِيَّـة

الدّكتـورّ: فاتــح مـرزوق

أستــاذ اللّغويّـات

البريـد الالكتـرونيّ: f.merzouk@centre-univ-mila.dz

الفسبكة (الفايسبوك): فاتح للدراسات اللغوية

المجمـــــوعــة (أ)

المدرج: 05

2025 –2024

المحاضرة الثّانية:

أَثَرُ الْفِرَقِ الكَلَامِيَّةِ فِي تَأْصِيلِ الْبَلَاغَةِ–الْمَجَازُ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ نموذجا–

1–**مَنْ هُمْ الْمُعْتَزِلَة:** سنحاول تبيان مفهوم المعتزلة وكيف أثّروا في التّأصيل البلاغيّ؛ لذا فهي: "نحلة بدعيّة، ظهرت مع بزوغ شمس القرن الثّاني للهجرة، في مدينة البصرة بالعراق"

يتبيّن أنّ المعتزلة فرقة ظهرت بوادرها في أواخر العصر الأمويّ، وتجذّرت جذورها واستوت على أشدّها في العصر العباسيّ؛ عصر الاسلام الذّهبيّ "ولعلّ سبب الحديث على هذه الفرقة الكلاميّة وعلمائها من بين الفرق الأخرى أنّها كانت أكثر الطّوائف إرساءً لأسس البلاغة بحكم اتّصالهم بالقرآن الكريم" الظاهر من الباحثة (حليمة تواتي) أنّ السبب الأقرب لانتشار الفرقة المعتزليّة في الدّرس البلاغيّ؛ كونها ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم.

2–مفهوم المجاز: ذكر علماء اللّغة تعريفات عدّه للمجاز كلّ حسب منهجه ومشربه وسنحاول تبيان بعضها في النّقاط الآتية:

2.1. عند عبد القاهر الجرجاني: "هو كل كلمة أريد غير ما وضعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل".

2.2. عند ابن جنّي: "ما لم يُقرّ في الاستعمالات على أصل وضعه في اللّغة" يتبيّن من التّعريفين أنّ المجاز يقترن بمعلمين الأوّل والثاني؛ اللفظ الحقيقي والمجاز إذا وضعت الكلمة في غير استعمالها الأصليّ. وهنا إشارة إلى أنّ الكلام العربيّ مبنيّ على الحقيقة، إلاّ إذا دلّت عليه قرينة تحيله إلى معنى مجازيّ؛ لذا نجد (العلوي) يردّ على هذين التّعريف. إذ إنّ تعريف (عبد القاهر الجرجاني) تعريف فاسد وليس بصحيح؛ إذ

يقول: "وهذا التّعريف فاسد؛ لأنّه يقتضي خروج الحقيقة الشّرعيّة والعرفيّة إلى حدّ المجاز وخروجها عن حدّ الحقيقة" .

كما ردّ عن تعريف (ابن جنّي) قائلا: "وهذا فاسد بأمرين، أمّا أوّلا: فلأنّه يبطل بالأعلام المنقولة، من نحو: أسد وثور، فإنّ هذه الأعلام لم تبقَ على استعمالاتها في اللّغة، بل قد نقلت إلى هذه الاشخاص والمعلوم أنّها لا تكون مجازات، ولا يدخلها المجاز بحال، وأمّا ثانيا: فلأنّ هذا حاله يبطل بالحقائق العرفيّة والشّرعيّة، فإنّه قد استعملت في غير ما وضعت له في أصل اللّغة" .

3-ظهور مصطلح المجاز عند اللّغويّين: إنّ المتمعّن في كتب الأولّين يلحظ أنّ المجاز لم يُعْرَف بهذا المفهوم البارز عند البلاغيّين المتأخّرين أو عند المحدثين حقيقة، بل تطوّر حتّى استولى على يد البلاغيّين البارزين، وسنحاول عرض هذا التّطوّر من خلال المؤلّفات والبحثة:

- **أبو عبيدة بن المثنّى (210هـ):** المتمعّن في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة يلحظ أنّ الاسم بارز في مجال البلاغة، لكن عند قراءة ما ورد فيه يجد غير ذلك؛ فالمجاز عنده مبنيّ إمّا الموضع الدّلالي أو النّحويّ كما ورد في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [النّبأ: 50] حيث يقول في قوله: (وهبت): "مجازه: إنْ تهب والموضع موضع مجازاة والعرب قد تجازي بحرف وتضمر الآخر"

وتارة نلحظه يقصد بالمجاز الشّرح للمفردة ذاتها، كما ورد في سرح قوله تعالى: ﴿ وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [سبأ: 33]. حيث يقول في مجاز كسر قاف (قِرن) قائلا: "القاف مكسورة؛ لأنّها من وقرّت تقرّ، تقديره: وزنت تزن، ومعناه من الوقار، ومن فتح القاف؛ فإنّ مجازها من (قرّت تقرّ): تقديره: قرّرت تقرّ، فحذف الرّاء الثّانية

فخفّفها، وقد تفعل العرب ذلك" . بل نجد مفهوم المجاز عنده مبني على المعنى النّحويّ؛ أي شرح وتفسير نحويّ، وهذا جليّ في شرح قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [سبأ: 63] فقد بيّن سبب ورود (قريبا) مذكّر وليس مؤنّثا رغم كلمة (السّاعة) مؤنثة؛ فيقول علّة ذلك قائلا: "مجازه (قريبا) مجاز الظّرف ها هنا، ولو كان وصفا للسّاعة لكان قريبة، وإذا كان ظرفا، فإنّ لفظها في الواحد والاثنين والجميع من المذكّر والمؤنّث واحد بغير الهاء وبغير تثنية وبغير جمع".

ونخلص إلى أنّ المجاز عند (أبي عبيدة بن المثنى) لا يعدو أنْ يكون تفسيرا بيانيّا من خلال المستويات الصّرفيّة والنّحويّة.

■**الجاحظ (255هـ):** يعدّ الجاحظ من علماء البلاغة الّذين برزوا بروزا واضحا من خلال كتابيه (البيان والتّبيين) و(الحيوان)؛ إذ إنّه عقد فصلين في كتابه (الحيوان) سمّاهما: (في المجاز والتّشبيه بالأكل) و(في مجاز الذّوق) "وقد عرف الجاحظ في هذين البابين المجاز على أنّه مقابل للحقيقة، كما عرفه على أنّه وضع الكلمة في موضع غير الّذي وضعت له، ويبيّن هذا من خلال ما عرض من أمثلة وما قام به من تفسير وبيان علة نحو قوله: "وهل قوله (وقد أكلت أظفاره الصّخر) إلاّ كقوله: (كضب الكدى أفنى براثنه الحفر) فقد عرض المثال الأولّ لاستعمال الفعل (أكل) في غير موضعه على وجه المجاز يقابل الحقيقة، وقد بيّن أيضا معنى الأكل هنا بالمثال الآخر الذي ذكر فيه الفناء على الحقيقة، وعلى هذا يمكن القول بأنّ مفهوم المجاز لدى الجاحظ كان قد تبلور في ذهنه على النّحو الّذي ظهر بعد علماء البلاغة غيرهم فقد عرّفه (الجاحظ) بحسه اللّغوي وعرضه بمهارة تضع تعريفه وتظهره لما بعده" يتّضح

من خلال الباحثة أنّ الجاحظ يعدّ من البلاغيّين الأوائل الّذين أطلقوا هذا المصطلح مقابلا للحقيقة.

وقد أشار الباحث (وليد قصّاب) بأنّ الجاحظ أوّل مؤسّس سمّاه مسمى علميّا دقيقا من خلال قوله: " وأوّل استعمال علميّ دقيق للكلمة كان.. على يدي الجاحظ المعتزليّ فقد رأيناه يستعمله بالمعنى المقابل للحقيقة" والظّاهر أنّ المذهب المعتزلي الذي ينتمي إليه هو من جعله يبرز في مجال التّأسيس المصطلحيّ للمجاز.

■**ابن قتيبة (276هـ):** يعدّ ابن قتيبة تلميذ أبي عبيدة، وهو الآخر يشير غلى المجاز ولكن ليس بالاسم ذاته؛ بل نجده يصنفه ضمن مسمّيات أخرى بمفهومها العام في قوله: "وللعرب المجازات في الكلام؛ ومعناها: طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتّمثيل، والقلب والتّقديم والتأخير والحذف والتّكرار ..." يتبيّن من قول ابن قتيبة أنّ المجاز عنده ليس خاصا بعلم البيان فحسب؛ بل يرتبط بعلم المعاني.

والحري بالذّكر أن المجاز عنده بمعنى التّأويل، حتّى إنه قصد به التّضاد؛ حيث فصل عنوانا وسمه بـ: (باب القول في المجاز) "وأمّا المجاز فمن جهته غلط كثير من النّاس في التّأويل، وتشعّبت بهم الطّرق... وكانت العرب تسمّى الأرض: أمّا؛ لأنّها مبتدأ الخلق، وإليها مرجعهم ومنها أقواتهم وفيها كفايتهم"

■**أبو الفتح عثمان ابن جنّي (392هـ):** يعد ابن جنّي من العلماء الذين ربطوا الحقيقة بالمجاز حيث أفرد بابا وسمه بـ: (باب في فرق بين الحقيقة والمجاز) وهي إشارة إلى العلاقة بينهما، فقد عرّف المجاز بضدّ الحقيقة في قوله: "الحقيقة: ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللّغة، والمجاز: ما كان بضدّ ذلك" وهنا إقرار بوجود

المجاز في اللّغة؛ أضف إلى أنّ المجاز أن تستعمل الكلمة في غير معناها المعروفة به؛ لذا نجده يشير إلى الاعتبارات العلميّة الثّلاثة الّتي يعرف بها المجاز بقوله: "وإنّما يقع المجاز، ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة: الاتّساع، والتّوكيد والتّشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة" .

يتّضح أنّ ابن جنّي يعتمد على (الاتّساع/السّعة، والتّوكيد والتّشبيه) وقد مدّ هذا النّوع بأمثلة توضيحيّة "وكذلك قول الله سبحانه ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ هذا هو مجاز. وفيه الأوصاف الثّلاثة:

أما السّعة فلأنّه كأنّه زاد في أسماء الجهات والمحالّ اسما هو الرّحمة.

وأمّا التّشبيه، فلأنّه شبّه الرّحمة –وإنْ لم يصح دخولها– بما يجوز دخوله؛ فلذلك وضعها موضعه.

وأمّا التّوكيد؛ فلأنّه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر، وهذا تعال بالغرض، وتفخيم منه" .

مَذَاهِبُ الْمَجَاز: انقسم العلماء في مسألة المجاز بين منكر ومؤيّد.

3.1. فريق قال بوجود المجاز في اللّغة والقرآن معا: ودعم ما ذهب إليه بمجموعة من الأدلّة العقليّة:

-كأبي الحسن الآمدي، صاحب كتاب (الإحكام في أصول الأحكام).

-جار الله الزمخشري، صاحب (الكشاف) و(أساس البلاغة).

-والفخر الرازي، صاحب (التّفسير).

-وابن حجر العسقلاني في كتابه (غِراس البلاغة) حيث جمع فيه المجازات الواردة في (أساس البلاغة) وإنْ أسقط بعضها أحيانا؛ فإنّه زاد عليها مجازات لم يقل بها الزمخشري أحيانا أخرى"

وممّن حذا حذو هؤلاء العلماء في قضية تأييد المجاز في اللّغة والقرآن الإمام (الشّوكاني) " فقد نحا هذا المنحى؛ بل إنّه ذهب إلى اتّهام كلّ من ينكر وقوع المجاز في القرآن أو لغة العرب بالجهل وقلّة الاطلاع، قال –رحمه الله-: "المجاز واقع في كلام العرب عند جمهور أهل العلم، وخالف في ذلك أبو إسحاق اسفرائيني" .

كما نجد (ابن جنّي) وأبو علي الفارسيّ "قد توسّعا في قول بالمجاز توسّعا لم يسبقهما إليه أحد؛ إذ زعما أنّ عامّة ألفاظ العربيّة، وأكثر ما ورد فيها من أفعال إنّما هي من قبيل المجاز لا الحقيقة".

3.2. وأنكر فريق وجود المجاز في القرآن الكريم ولغة العرب بالكليّة: وممّن أنكره أبو إسحاق الإسفرائيني والإمام ابن تيميّة في (فتاويه) وتبعه تلميذه (ابن القيم) في (الصواعق المرسلة) حيث عقد فيه فصلاً مطوّلا بعنوان: "فصل في كسر الطاغوت الثالث الّذي وضعته الجهميّة لتعطيل حقائق الأسماء والصّفات وهو طاغوت المجاز" وقد ذكر فيه أكثر من خمسين وجها في إبطال حجج القائلين بالمجاز، وكشف عواره وماله من سيء الأثر على عقيدة المسلم وتوجيه آيات الله في كتابه العزيز".

3.3. موجود في اللّغة مردود في القرآن: أمّا الفريق الوسط فقد ذهبوا إلى أنّ المجاز موجود في اللّغة مردود في القرآن، وممّن قال بذلك:

- محمد بن خويز منداد البصري المالكي؛
- وداد بن علي الاصبهاني؛

- وابن القاصّ الشّافعيّ؛

- ومنذر بن سعيد البلوطي... وقد قال بقولهم الشيخ محمد أمين الشنقيطي وفي رسالته الموسومة بـ:" منع جواز المجاز في المنزّل المتعبّد والإعجاز".